جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية **الشعر الشعبي الجزائـري**

كليـة الأدب واللغات **ماستر 1 تخصص: أدب جزائري**

قسم اللغة العربية وآدابها **الدكتور: : سالم بن لباد.**

المحاضرة الثانية:

الشعر الشعبي وإشكالية المصطلح والمفهوم

تمهيد: اختلف دارسوا الأدب الشعبي حول التسمية التي يمكن أن يطلقوها على هذا النوع من التعبير الشعبي، الذي تباينت مصطلحات تسميته، من شعر شعبي إلى ملحون أو عامي أو زجل...وقد حاول المختصون توضيح هذه الحدود توضيحا ينم عن اختلاف كبير بينهم حول التسمية والمفهوم، كقول بعضهم بأنه مرتبط بالعامية والرواية الشفوية، ومجهولية المؤلف، وربط البعض صفة الشعبية بالعراقة والقدم والتعبير عن الضمير الجمعي ودعوتهم للاهتمام بالنص في ذاته بدل الاهتمام بمؤلفه.

1-الشعر الشعبي:

الشعر الشعبي فرع من فروع الأدب الشعبي العام، وينطبق عليه ما ينطبق على هذا الأدب من مميزات، تجعله مختلفا عن الأدب العام، وأطلق الباحثون عدّة تسميات على الشّعر الشّعبيّ، واختلفت «باختلاف الإطلاق الّذي شاع استعماله في البيئة المحلية، أو حسب اجتهاد الباحث واختياره لهذا المصطلح أو ذاك»(1).

حصر بعض الدّارسين الشّعر الشّعبيّ في النّوع الّذي يجهل قائله، وهناك من ذهب إلى القول بأنّه الشّعر الملحون، ويخصّ في ذلك الشّعر دون النّثر، كما ذهب البعض إلى إطلاق مصطلح الزّجل

---

1 – التّلي بن الشّيخ، دور الشّعر الشّعبيّ في الثّورة (1830م – 1945م)، الشّركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، سنة 1983م، ص 365.

«على الشّعر الشّعبيّ في بيئة من البيئات، ولكنه لا ينطبق على شعر بيئة أخرى، لاختلاف الأوضاع الثّقافيّة والسّياسيّة، الّتي تؤثّر في التّعبير الشّعبيّ»(2).

وقد اتفق الباحثون على توفر أربع شروط أو خصوصيات في الشعر الشعبي وهي: مجهولية المؤلف، وعامية اللغة ، والاعتماد على الرواية الشفوية، والتوارث جيلا بعد جيل. وهي نفس خصوصيات الأدب الشعبي، وهو مصطلح مستعار من الكلمة الغربية فلكلور التي تعني حرفيا حكمة أو الشعب.لكن يصادف الباحث هنا الإشكالية، هو أن أغلب النماذج التي وصلت إلينا من هذا الشعر قديمه وحديثه لا تتوفر فيه جميع هذه الشروط، خاصة ما يتعلق بمجهولية المؤلف، فأغلب النماذج التي وصلتنا معلومة المؤلف، والنماذج المجهولة المؤلف قليلة مقارنة بها، وهو الأمر الذي دفع ببعض الباحثين إلى تبني مصطلحات أخرى كالشعر الملحون والزجل...في حين أصر البعض الآخر على هذه التسمية (الشعر الشعبي)، ودعوا إلى فهم آخر لكلمة الشعبي، يتجاوز الشروط الأربعة السالفة الذكر، إلى مميزات أخرى مثل كونه: ملكا للشعب، وهو نتاج استعمال الشعب ولا يستعمل في الأوساط البرجوازية وعند المثقفين، بالإضافة إلى أنه يتوجه إلى الشعب.

يتبنى التلي بن الشيخ تسمية الشعر الشعبي لأنها تتطابق مع مفهوم الطبقات الشعبية لهذا اللون من التعبير أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى مثل الملحون والعامي والزجل، وبذلك فهو يختلف مع المرزوقي وعبد الله ركيبي في الرّأي حيث يقول: "وبالرّغم من أنّ الشّعراء الشّعبيّين قد أطلقوا على الشّعر تسميات مختلفة، فإننا نميل إلى الاعتقاد، بأنّ تسمية الشّعر الشّعبيّ تتطابق مع مفهوم الطّبقات الشّعبيّة لهذا اللّون من التّعبير، أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى، مثل الملحون، والعامّي، والزّجل..." (3).

---

2 – المرجع نفسه، ص 366.

3 – التّلي بن الشّيخ، المرجع السّابق، ص 386.

كما يجب مراجعة مفهوم الشعبية وتحديد شعبية الأدب ينبغي أن ينصب على النصوص أكثر من الاهتمام والتمسك بصاحبه، سواء كان مجهولا أو معروفا، قديما أو حديثا، والمهم أن يكون شائعا بين الأوساط الشعبية، ومعبرا عن آمالهم وآلامهم.

2- مصطلح الشعر الملحون:

ومن بين المصطلحات التّي جلبت اهتمام الباحثين مصطلح "الملحون"؛ لأنّه أكثر شيوعا وشهرة، وقد عرّفه المرزوقي بقوله: «إنّ الشّعر الملحون الذّي نريد أن نتحدث عنه اليوم، فهو أعمّ من الشّعر الشّعبيّ، إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية، سواء معروف المؤلف أو مجهوله، وسواء دخل في حياة الشّعب فأصبح ملكا له، أو كان من شعر الخواص، وعليه فوصف الشّعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنّه نطلق بكلام عاميّ أو بلغة عامية غير معروفة»[4].

فهو يرى بأن الشعر الملحون أعم من الشعر الشعبي، إذ يشمل كل منظوم بالعامية سواء كان مجهول المؤلف أو معلومه، وسواء روي من الكتب أو مشافهة، وسواء شاع في حياة الشعب فأصبح ملكا للشعب أو كان من شعر الخواص.

والملاحظ في هذا القول أنّ المرزوقي قد ألمّ على التّعريف، كما يبدو هذا التعريف هو الأصّح، لكن النقطة التّي تثير الانتباه هي أن الشّعر الشّعبيّ لا يخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف، وهو ما أشار إليه عبد الله ركيبي: «لما كان الشّعر الملحون- في معظمه- تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينه وبينها هو في الإعراب، فهو إذن من "لحن" في الكلام إذا لم يراع الإعراب والقواعد اللّغوية المعروفة»[5].

---

4 – محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط5، 1967م، ص51.

5 – د.عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي)، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، (د.ط)، 2009م، ص361.

فالمرزوقي قصد النظر إلى وصف لغة هذا الشعر التي تتسم باللحن والتكسير والعدول، فاللحن هو النطق باللغة العربية الفصيحة بلهجة غير معربة، بمعنى مخالفة قواعد الإعراب المعروفة في الفصحى.

ويفضل عبد الله الركيبي مصطلح الشعر الملحون دون غيره من المصطلحات تماشيا مع ما شاع في البيئة الأدبية في الأقطار المغاربية، كما أنه يرى بأن إطلاق صفة الشعبي عليه قد يوحي بأنه مجهول المؤلف، والشائع أن صفة الشعبية تنصرف إلى ما له عراقة وقدم، وإلى ما يعبر عن روح جماعية بالكلمة، حيث يصبح الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب وقضاياه دون اهتمام بقائله، وعليه فمصطلح الملحون هو الأجدر بهذا الشعر، ذلك لأن الملحون تقليد ومحاكاة للقصيدة المعربة، فإن الفرق بينه وبينها هو الإعراب، فهو من لحن يلحن في الكلام، إذا لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة، بالإضافة إلى أن أصحابه معروفون عكس الشعر الشعبي الذي غالبا ما يكون أصحابه مجهولون، لكن شرط معرفة الشاعر غير كاف لإطلاق تسمية الملحون على هذا الشعر، فهناك نماذج ينطبق عليها مصطلح الشعر الشعبي رغم أنها معلومة المؤلف لأنها شاعت بين الناس فأصبحوا لا يهتمون بقائلها قدر اهتمامهم بها.

أما عباس الجراري فيرى بأن الشعر الملحون ينظم قبل كل شيء لكي يغنى، بمعنى أن هذا الشعر ينظم لكي يلحن ويغنى بعدها، فحق تسميته بالشعر الملحون، ويقول في ذلك :«ولعلنا قبل الانتقال إلى الألفاظ الأخرى التي أطلقت على هذا الشعر،أن نقف قليلا عند أصل التسمية بالملحون. والحقيقة أن محاولة التعليل أمام أفتراضين مصدرهما معنيان من معاني اللحن، هما الغناء والخطأ النحوي »[6] ويستند في قوله إلى رأي الاستاذ محمد الفاسي الذي يستبعد أن تكون التسمية مشتقة من اللحن بمعنى الخطأ لما قال: «والحقيقة أن لفظة الملحون هنا مشتقة من اللحن بمعنى الغناء لأن الفرق الأساسي بينه وبين الشعر العربي الفصيح أن الملحون ينظم قبل كل شيء لكي يغنى به»[7]

6- عباس الجراري، القصيدة(الزجل في المغرب)،ص55.

7-نقلا: عباس الجراري، المرجع نفسه،ص55.

وخلاصة القول أن إشتراك الباحثين في التسمية لا يعني أنهما متفقان في المفهوم، فاشتقاق كلمة الملحون من "لحن" تعطينا فكرة أنّ الشّعر الملحون يستعمل لغة غير سليمة، كما يدلّ على أنّه إنتاج شعريّ نظم من أجل الغناء واللّحن.

3- الزجل:

اقترح الباحث المغربي عباس الجراري مصطلحا آخر غير مصطلح الشعبي والملحون، ليطلق على هذا الشعر بتسمية الزجل، وغايته بذلك توحيد المصطلح في الأقطار العربية عموما والمغاربية خاصة، نظرا إلى شيوع استعمال هذا النوع الشعري بهذه التسمية في معظم البلاد العربية. يقول في ذلك: «فإنّنا نفضّل إطلاق الزّجل على كلّ أنواع الشّعر الشّعبي المغربي وندعو إلى هذه التّسمية بدلا من أيّ تسميّة أخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع والانتشار»8.

لكن الملاحظ أن هناك تباينا واختلافا في تسمية هذا النوع الشعري، فهناك من يطلق عليه تسمية: الحميني والمبيت والموشح والقصيد والأغنية...بالإضافة إلى أن عبد الله الركيبي يرى أن تسمية الزجل تدل على أنه تقليد شعبي للموشح، أو هو صورة منه، غير أنه كتب بلهجة عامية، متخذا شكل الموشح، كما أنه يتناول موضوعات تطرق الوشاحون إليها ، فهو يخالف عباس الجراري في إطلاقه الزّجل على الشّعر الشّعبيّ ، و يميل إلى إطلاق مصطلح "الملحون" على الشّعر؛ لأنّ التسمية بالنسبة له: «لا تتعارض كثيرا مع بقية المصطلحات، فهي وإن اختلفت معها في بعض ما ذكرنا فإنّها تتفق معها في السمة الغالبة على هذا الشّعر، وهي أنّ روحه ولغته عاميّة في معظمها، ولكنّها تعدّ تسمية خاصة بالقياس إلى مصطلح "الشّعر الشّعبيّ" مثلا، الذّي هو أعمّ وأشمل من المصطلحات الأخرى»9.

وهو نفس رأي أحمد طاهر الذي يرى أن هناك نوع من الشعر الشعبي ينتمي في أصوله ونظمه وشكله ووزنه وفي خصائصه الفنية إلى الأزجال والموشحات، لكن هذا لا يبرر إطلاق المصطلح على

---

8 – عباس الجراري، الزجل في المغرب" القصيدة، مطبعة الأمنية، المغرب، ط1، 1970م، ص54.

9 – عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص364.

الشعر الشعبي ككل بل فقط على القصائد التي تحاكي الموشح في شكله ونظمه..فهناك شعر شعبي يستمد شكله من القصيدة العربية القديمة، وهو ما يطلق عليه كذلك تسمية شعر الأعراب أو الشعر البدوي.

إنّه من الصعب تقديم تعريف موحد وأحاديّ للشّعر الشّعبي؛ لأنّ معظم التعاريف السابقة تثبت أحقية التسمية للمصطلح عن آخر، لكن الرأي الصواب هو لكلّ منطقة وتسميتها الخاصة.

4- شعر الأعراب أو الشعر البدوي:

وهو تسمية من تسميات الشعر الشعبي، وتطلق على شعر البدو، الذين احتفظوا في المراحل الأولى بالسليقة العربية السليمة، إلى أن تسرب اللحن إلى لغتهم شيئا فشيئا، وكان أول ظهور له في« حديث عن الشعر البدوي لبعض العرب الرحالة في الجنوب الجزائري للمستكشف بعد معايشتهم لمدّة طويلة، و الذي نشر في المجّلة Alexandre Joly الفرنسي ألكسندر جولي الإفريقية»10. تحدّث هذا الأخير عن بعض الأنواع التي يمكن أن نضعها في باب الشعر البدوي ،في عموم البوادي العربية، أما في المناطق التي انتقلت إليها القبائل العربية، فقد أخذت عربيتهم تختلط باللهجات المحلية فدخلها اللحن، كما حدث في بلاد المغرب حينما استقرت بها قبائل هلال وسليم، فلم يبق مكان للشعر الفصيح إلا في المدن والحواضر حيث النخبة المثقفة ودواليب السلطة. بيد أنه لا يمكن إطلاق هذه التسمية على عموم الشعر الشعبي نظرا لعدة اعتبارات، منها وجود شعر آخر حضري (شعر المدينة) ولا علاقة له بشعر الأعراب، بالإضافة إلى التسمية في حد ذاتها والصادرة عن أهل الحواضر بغاية القدح بهذا الشعر الذي ينعت أهله بغلظة الطبع، كما أننا لا نجد هذا المصطلح إلا عند المرزوقي وقد خص به اعراب بني هلال في بلاد المغرب. أما في المشرق فإنهم استعملوا مصطلحا آخر هو الشعر النبطي.

-خلاصة:

-10 - Joly (Alexandre). «Remarques sur la poésie moderne chez les nomades Algériennes».

In Revue Africaine, Alger : OPU, Revue Annuaire, N° 44, année 1900, deuxième édition, 1996, P 283.

مهما اختلفت تسميات هذا الفرع من الأدب الشعبي فإن التسمية الجامعة للمفهوم هو الشعر الشعبي سواء ما كان معروف المؤلف أو مجهوله، فالمهم هو ان يكون منتشرا وشائعا بين الطبقات الشعبية البسيطة وأن يكون معبرا عن مشاغل وهموم وآمال هذه الطبقات، كما يجب ان يكون موجها إليهم ومعتمدا على لغتهم متضمنا لاهتماماتهم، معالجا لهمومهم ومشاكلهم.